معاني أعمال الصلاة

استقبال القبلة:

استقبال القبلة عبارة عن صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله الحرام. وكما يتوجب علينا التوجه إلى بيت الله الحرام بوجوهنا وأجسامنا كذلك يتوجب علينا التوجه بقلوبنا إلى طاعة الله والانصراف عن منهياته.

الإقامة:

يبدأ المصلي بكلمة عظيمة لو وضعت هذه الكلمة في كفة والأرض في كفة ثانية لرجحت على الأرض وما فيها، وهذه الكلمة هي: [الله أكبر].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر**

ضياء، والقرآن حجةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسَهُ فمعتقها أو موبقها»[1].

فإذا كبرت تكبيرة الإحرام ورفعت يديك فاقصد برفعهما أنك طرحت خلف ظهرك الدنيا متوجهاً إلى الله؛ فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه وتعالى، فالله يشهد إنك لكاذب؛ فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللسان المجرد دون القلب؛ وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وقد سميت تكبيرة الإحرام لأنه حرم عليك كل شيء مخالف للصلاة، لأنك دخلت في ساحة حضرة ملك الملوك وبدأت تناجيه، فإذا دخلت الحضرة الإلهية فما عليك إلا أن تقف متضرعاً خاشعاً مظهراً ضعفك وعجزك.

دعاء الاستفتاح:

قال الجمهور: يسن دعاء الاستفتاح بعد التحريمة في الركعة الأولى وله صيغ كثيرة المختار منها:

---

(1) رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه إلا أنه قال: إسباغ الوضوء شطر الإيمان.

عند الحنفية والحنابلة: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك**»[1].

سبحانك: من التسبيح، وهو تنزيه الله تعالى.

وتبارك اسمك: من البركة وهو ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

وتعالى جدُّك: الجدّ: العظمة، **وتعالى**: من العلو، أي علت عظمتك على عظمة كل أحد غيرك، أو علا جلالك وعظمتك.

والمختار عند الشافعية صيغة: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين**»[2]

وهو آية قرآنية ما عدا ما يناسب المسلم في آخره وهو: (من المسلمين) وأصلها (أول المسلمين)، وفي رواية لمسلم: (وأنا أول المسلمين) قال الشافعي: لأنه ﷺ كان أول مسلمي هذه الأمة.

---

(1) رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها، وللدارقطني مثله عن أنس رضي الله عنه.

(2) رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومعنى وجهت وجهي: أي قصدت بعبادتي وتوحيدي الله ﷻ .

فطر السموات والأرض: أي خلقهما على غير مثال سابق.

حنيفاً: أي مائلاً إلى الحق، أو مائلاً عن كل دين مخالف للدين الإسلامي

مسلماً: أي منقاداً لأوامر الله ﷻ .

وإذا قلت وما أنا من المشركين: فاخطر ببالك الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا. واعلم أن صلاتك وجميع عبادتك خالصة لوجه الله تعالى، ليس فيها أي معنى للشرك أو الرياء.

إن صلاتي: يقول القرطبي: المراد هنا بالصلاة صلاة الليل، وقيل: صلاة العيد. وقيل: مطلق الصلاة.

والنسك: جميع نسيكة، وهي الذبيحة. والمعنى ذبحي في الحج والعمرة.

وقال الزجاج: عبادتي. وقال قوم آخرون: النسك: جميع أعمال البر والطاعات.

ومحياي: أي ما أعمله في حياتي.

ومماتي: أي ما أوصي به بعد مماتي.

لله رب العالمين: أي أفرده بالتقرب بها إليه.

ويجوز عند الشافعية البدء بنحو: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».

ونحو: «**الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً**».

ونحو: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**».

ويستحب الجمع بين جميع ذلك للمنفرد، ولإمام قوم محصورين راضين بالتطويل. وقال المالكية: يكره دعاء الاستفتاح، بل يكبر المصلي ويقرأ لما روي عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يفتتحون الصلاة [**بالحمد لله رب العالمين**]»[1].

وليس المراد بقول المسلم: «**وجهت وجهي لله**» هو الوجه الظاهر، فالله سبحانه وتعالى يتقدس عن أن تحده

(1) متفق عليه.

الجهات، حتى يقبل بوجهه عليه؛ بل المراد وجه القلب الذي هو موطن الشعور والفكر الذي يتوجه به إلى خالق السموات والأرض، فلينظر المسلم هل هو متجه إلى أمانيه ومشاغله في الدنيا، أم هو مقبل على الله سبحانه وتعالى.

القراءة: اعلم إن الاستعاذة قبل قراءة الفاتحة، لتذكرك أن الشيطان عدو لك ومترصد لصرف قلبك عن الله ﷻ حسداً منك لمناجاتك لله ﷻ، وسجودك له، مع أنه لعن وطرد من رحمة الله بسبب ترك سجدة واحدة.

والناس في القراءة ثلاثة:

1 - رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل.

2 - ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره. وهم درجات أصحاب اليمين.

3 - ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه فيكون اللسان هو ترجمان القلب. وهؤلاء هم المقربون وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب. والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار

الكلمات وروي أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾[1] خر ميتاً.

وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[2]. اضطرب حتى تضرب أوصاله.

الركوع: الركوع في اللغة الانحناء بالظهر.

فعند الانحناء يجب أن يعلم المصلي أن هذا الانحناء هو تواضع لعظمة الله سبحانه وتعالى، وتشهد له بالعظمة حينما تقول: (سبحان ربي العظيم) وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار. والحد الأدنى أن يقول في ركوعه: (سبحان ربي العظيم) وأدنى الكمال ثلاثاً عند الجمهور، ولا حد عند المالكية. ويضيف المالكية، والشافعية، والحنابلة (وبحمده). والدليل حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه (سبحان ربي العظيم)، وفي سجوده (سبحان ربي الأعلى) وما مرَّت به آية رحمة إلا وقف عندها يسأل، ولا آية عذاب إلا تعوذ منها»[3].

---

(1) سورة المدثر، الآية: 8.

(2) سورة الانشقاق، الآية: 1.

(3) رواه الخمسة وصححه الترمذي.

وعند الشافعية: يزيد المنفرد وإمام قوم محصورين راضين بالتطويل: (اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي)[1].

التسميع والتحميد: أي قول المصلي: (سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد). أي (ربنا استجب لنا)، أو (أجاب الله لمن شكره)، ولك الحمد على هدايتك لنا. ويسن عند الشافعية والحنابلة القول: (ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد). ودليلهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجد**»[2].

---

(1) رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وزاد ابن حبان في صحيحه في آخر الدعاء: وما استقلت به قدمي. وزاد مسلم بسند صحيح بعد: ولك أسلمت: أنت ربي.

(2) رواه مسلم والنسائي (نيل الأوطار).

وملء ما شئت من شيء بعد: أي بعدهم كالعرش والكرسي، وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله.

أهل الثناء والمجد: أي يا أهل المجد والعظمة.

ولا ينفع ذا الجد منك الجد: أي لا ينفع ذا الغنى عندك أو ذا الحظ في الدنيا، حظه في العقبى، إنما ينفعه طاعتك.

وجاء في صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال: «كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حمده**». فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: «**من المتكلم؟**» قال: أنا. قال: «**رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً**».

السجود: السجود هو غاية في التواضع وزيادة في التذلل والخشوع، وذلك بلصق هذا الوجه الحسن بالتراب لله سبحانه وتعالى الذي يستحق العبادة.

ولعمري إن ألذ لحظة عند المؤمن تلك التي يضع فيها جبهته على الأرض تواضعاً لمن خلقه، وخلق له السمع والبصر والفؤاد، ورزقه من الطيبات.

والسجود يحبه الله وهو من أسباب القرب إلى الله ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**». ويؤكد العبد التواضع بالتكرار، فيعود إلى السجود مرة ثانية لأن السجدة الأولى معناها الائتمار، والثانية شكر على التوفيق في الائتمار.

قيل: إنه لما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس اللعين. نظر إليه إسرافيل فرآه لم يسجد، فسجد لله سجدة أخرى شكراً على ما أنعم الله عليه بالتوفيق والطاعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم سورة السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويْلَهُ**» وفي رواية: «**يا ويلي أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**»[1].

التسبيح في السجود: بأن يقول (**سبحان ربي الأعلى**) مرة في الحد الأدنى وثلاثاً وهو أدنى الكمال، وهو سنة بالاتفاق. وزاد المالكية والشافعية والحنابلة: (**وبحمده**). ويزيد عن الشافعية المنفرد وإمام قوم محصورين راضين بالتطويل: (**سُبُّوح قدوس رب**

(1) رواه مسلم.

الملائكة والروح، اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين)[1].

سُبُّوح: المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالألوهية.

قدوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق.

وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**». وكان يتأول القرآن، يريد قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2].

الدعاء في السجود: قال الحنفية: لا يأتي المصلي في ركوعه وسجوده بغير التسبيح على المذهب، وما ورد محمول على النقل.

ويندب الدعاء في السجود عند المالكية بما يتعلق بأمور الدين أو الدنيا، أو الآخرة له أو لغيره، خصوصاً أو عموماً.

---

(1) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.
(2) سورة النصر، الآية: 3.

ولا بأس عند الحنابلة بالدعاء المأثور أو الأذكار.

ويتأكد طلب الدعاء في السجود عند الشافعية. ودليلهم خبر مسلم وغيره: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء فقَمِن أن يستجاب لكم)[1] أي أكثروا الدعاء في سجودكم، فحقيق أن يستجاب لكم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**»[2]. ومعنى (دقه وجله) قليله وكثيره.

الدعاء بين السجدتين: عند الشافعية والحنابلة مشروع: بل قال الحنابلة: إنه واجب. وأدناه أن يقول مرة: (رب اغفر لي) وأدنى الكمال عندهم أن يقول ذلك ثلاث مرات.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ

---

(1) رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) رواه مسلم وأبو داود.

يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**»[1].

التشهد: التشهد الأول: سنة عند الشافعي ومالك، وواجب عند الإمام أحمد وأبي حنيفة، فلو تركه عند الشافعي صحت صلاته، ولكنه يسجد للسهو سواء تركه عمداً أو سهواً.

أما التشهد الأخير فهو فرض عند الشافعي وأحمد. وواجب عند أبي حنيفة، وسنة عند مالك.

أما صيغة التشهد عند الحنفية والحنابلة: ما ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**». وهو التشهد الذي علمه النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه[2].

وصيغة التشهد عند الشافعية والمالكية، ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**التحيات المباركات الصلوات**

---

(1) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه.
(2) رواه الجماعة (نيل الأوطار).

الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»[1].

التحيات: معناها العظمة لله، وقيل: الملك لله، وإنما قال: التحيات بالجمع لأن كل واحد من الملوك له تحية خاصة به، فملك العرب كانت رعيته تحييه بأنعم صباحاً قبل الإسلام، وبالسلام بعد الإسلام.

وملك الأكاسرة كانت رعيته تحييه بالسجود له وتقبيل الأرض.

وملك الفرس كانت رعيته تحييه بطرح اليد على الأرض قدامه ثم تقبيلها.

وملك الحبشة كانوا يحيونه بوضع اليدين على الصدر مع سكينة.

وملك الروم كانوا يحيونه بكشف الرأس وتنكيسه.. وهكذا.

فإذا قلنا التحيات معناها: أن جميع الألفاظ التي تدل على الملك لله وحده.

---

(1) رواه مسلم وأبو داود بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه بهذا اللفظ لكنه قال: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. (نيل الأوطار).

المباركات: أي التي تنمو وتزيد.

الصلوات: معناها مطلق الصلوات الخمس وغيرها من النوافل.

الطيبات: أي الأعمال الصالحة الخالصة من شوائب الإحباط والإبطال.

السلام عليك أيها النبي: معناها الجنة أي دار السلام.

علّمهم أن يفردوه ﷺ بالذكر لشرفه ومزيد حقوقه عليهم، ثم علمهم أن يخصوا أنفسهم أولاً لأن الاهتمام بها أهم. ثم أمرهم بتعميم السلام على الصالحين إعلاماً منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون سبيل الشمول.

ورحمة الله وبركاته: المراد بالرحمة أثرها، والبركة إدامة ما أوتيه ﷺ من التشريف أو زيادته. وأصل معنى البركة: الخير الإلهي.

أشهد أن لا إله إلا الله: أي أقر وأذعن بأنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، بهذا السلام حيّا رسول الله ﷺ به ربه عندما رفعه الله إلى السموات العلى ليلة المعراج، ولما كان المسلم قد ارتفعت روحه إلى الله سبحانه وتعالى في الصلاة وجب أن يحييّ ربه بنفسه بتلك الكلمات التي حياه بها الرسول ﷺ.

السلام: وأقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك لا تعيش لمثلها.

والسلام هو التحليل من الإحرام بعد أن أحرم عما سوى الله بالتكبير.

obeikandl.com